http://www.almadapaper.com - E-mail: almada@almadapaper.com ◆ العدد (2238) السنة التاسعة - الاثنين (5) ايلول 2011

الموصل تستعيد ليلها وتفقد المدفع

بعض السكان الاثرياء آثر السلامة في رمضان بالصوم في فنادق دهوك واربيل

للمرة الأولى منذ سبع سنوات، رفع حظر التجوال الليلي عن مدينة الموصل مع مطلع شهر رمضان، فأستعاد المواطنون ليل مدينتهم المفقود منذ سنوات، واحتفلوا به رغم إعلان الجهات الأمنية، أن الرفع مؤقت وسينتهي مع رحيل رمضان.

الزحام الليلي غير المسبوق في أسواق المدينة المتعددة والمتباعدة، هو ما دفع الجيش العراقي المرابض في الساحل الأيسر للمدينة، الى تعليق حظر التجوال المعمول به منذ نهاية عام ٢٠٠٤، بسبب الانهيار الأمني آنذاك، وكان يبدأ في الصيف عند منتصف الليل، وينتهي في الخامسة فجراً، ويتغير في الشتاء ليبدأ في الحادية عشرة مساءً وينتهي عند الرابعة فجراً.

الموصل / نوزت شمدين

قادة الجيش بروا قرارهم ذلك، أنه لفسح المجال أمام المواطنين من أجل التبضع استعداداً لعيد الفطر، وآخرون قالوا إنها (بروفة) لما يمكن ان يتحقق في أيام ما بعد العيد، وأن الإعلان عن رفع نهائي لحظر التجوال يبقى مرهوناً بالمستوى المتحقق من الأمن.

طبق رفع حظر التجوال في بادئ الامر في الجهة اليسرى من الموصل، حيث تفرض قوات الجيش التابعة للفرقة الثانية سيطرتها الكاملة هناك، و بالنسبة للجزء الجنوبي أو جانب المدينة على الضفة اليمنى من نهر دجلة، الذي تسيطر عليه قوات الشرطة المحلية والاتحادية، استمر تطبيق الحظر هناك حتى منتصف شهر رمضان، وتزامن هذا العام مع منتصف شهر آب.

العشرات من العائلات قبل ذلك ظلت عالقة في الجهة الأخرى، بعد ان أغراهم الصخب الليلي النادر للأسواق، فنسوا موعد الحظر، ليجدوا في طريق عودتهم إلى منازلهم، جسور المدينة الخمس التي تسيطر عليها قوات الجيش مغلقة بالأسلاك الشائكة.

حدث هذا لثلاث ليال متتالية، قبل ان يعلن المحافظ يوم ١٥ آب بوصفة رئيس اللجنة الأمنية في نينوى، رفع حظر التجوال الليلي بشكل كامل عن الجهة اليمنى من مدينة الموصل، حتى نهاية رمضان.

كان تاريخ المدينة، سيسجل وللمرة الأولى منذ أول رصاصة أطلقت بعد نيسان ٢٠٠٤، سلاماً رمضانيا شبه تام بأيام عيد فطره الثلاث، لولا أن اليوم الثالث للعيد، حمل أخباراً غير سارة للأطفال المتحمسين، ولا لأماكن التنزه التي ظلت مشلولة طيلة ساعات النهار، بعد ان فرضت الأجهزة الأمنية حظرا شاملاً للتجوال بدأ مع الفجر، وانتهى في الثامنة والنصف مساءً، على خلفية هروب ٣٥ سجيناً من سجن الموقف والتسفيرات وسط الموصل.

وهذا ما دفع بالكثير من الاهالي، إلى اعتبار يومي الجمعة والسبت، مكملين لعيد الفطر، فاستطالت الطوابير إمام نقاط التفتيش في طرق الذهاب الى مصايف اقليم كردستان، واحتشدت الآلاف من العائلات في مطاعم منطقة الغابات السياحية ومتنزهاتها، ومدينة العاب الموصل، ومنطقة الشلالات، ودجلة ستي، وهي أول مدينة ملاه متكاملة تفتتح في المدينة منذ ثلاث وثلاثين عاماً.

وحتى قبل وصول رمضان بأيام قليلة، كانت العشرات من عائلات الموصل الغنية، تشق طريقها الى مدن إقليم كردستان القريبة دهوك وأربيل، لقضاء شهر رمضان في فنادقها ومناطقها السياحية، هرباً من ارتفاع درجات الحرارة التي جاوزت ٤٥ مئوية في الموصل، وظلوا هناك يعيشون العيد ساعة بساعة.

البعض فاوض فنادق وموتيلات في زاويته ودهوك وسولاف وغيرها من مناطق دهوك، على حجوزات استباقية في عيد الاضحى المقبل، لانهم يتوقعون بعد الزحف السياحي الكبير من الموصل الى تلك المناطق في عيد الفطر وما تلاه، واضطرار الكثير من الشباب وحتى العائلات للمبيت في المركبات، أن العيد القادم سيشهد أمراً مماثلاً، واصفين إياه بموسم الهجرة الى الشمال.

الباقون في المدينة، كان عليهم مواجهة أيام صيام صعبة، ولاسيما في الأسبوع الأول من رمضان، وكانت الأسواق مشلولة معظم ساعات النهار، رغم ان الكثير من أصحاب المتاجر وللعام الثاني على التوالي، وضعوا (دوشاً) للمياه أمام أبواب محالهم لكسب الحسنات، أو لاستدراج الزبائن،ولكن في هذا العام، فتحت دائرة البلدية عينيها، واعتبرت الدوش هدراً للماء، ولاحقت المصرين عليه بغرامات مالية، مع ان البعض من الموظفين اعتبروا الدوش مخالفة مؤقتة، ستنتهي بانتهاء رمضان أو بانحسار موجة الحر.

الدوائر الحكومية في نينوى، طبقت قراراً أصدرته الحكومة المركزية نافذا حتى بداية شهر أيلول بتقليص ساعة واحدة من نهاية الدوام الرسمي، وقراراً آخر من حكومة نينوى المحلية بتقليص ساعة صباحية، فصار الدوام من الثامنة صباحاً، وينتهي في الواحدة ظهراً.

في ظل هذا الامتياز الرمضاني المؤقت، خصوصاً في الدوائر غير الخدمية، أصبح الموظفون يتمتعون بما يشبه العطلة، ولاسيما بعد الانخفاض الكبير في أعداد المراجعين، بسبب الصيام والحر الشديد، وهذا تحديداً هو سبب الانخفاض المفاجئ في نسب الفساد في دوائر الدولة في مدينة الموصل، وليس إجراءات الحكومة المحلية، بحسب مصدر مسؤول، فضل عدم الكشف عن أسمه.

الموصل وغيرها من المدن العراقية، باستثناء مناطق اقليم كردستان، دخلت رمضان هذا العام بساعات كهرباء إضافية، مستفيدة من قرار الحكومة المركزية المؤقت بمنح مولدات الكهرباء الأهلية، وقوداً مجانياً مقابل تزويد المواطنين بالكهرباء من الثانية ظهراً وحتى السادسة صباحا من اليوم التالي.

خفف ذلك من وطأة غياب الكهرباء الوطنية، التي تظهر بشكل خاطف ساعتين في كل مرة، ولا تتجاوز في أحسن الأحوال ثماني ساعات في اليوم كله، كما أنه ساعد في امتصاص الغضب الشعبي من وزارة الكهرباء بعد سلسلة فضائح العقود الوهمية التي ظهر أنها متورطة فيها مع شركات أجنبية.

الموصل ولتاسع رمضان منذ سقوط نظام صدام حسين، تفتقد مدفع افطارها الشهير، الذي كان موضوعا على المدخل الشمالي لجسر الموصل القديم، أو الجسر العتيق كما يطلق عليه الأهالي، وهو مبني في ١٩٣١، فوهة المدفع كانت موجهة إلى جانب المدينة الأيمن، وكان الناس في محيط ١٠ كم يفطرون على نغمته الانفجارية، ويترقبون الإعادة عند الإمساك لبدء يوم صيام آخر.

وكان الأطفال خصوصا في المناطق القريبة او البعيدة على حد سواء، يتسلقون السطوح، أو ينتشرون في أزقة الاحياء، يمطون أذانهم للقبض على صوت المدفع، ومع أول لحظة غروب، كان يحدث الدوي، فتتعالى الصيحات الصغيرة محتفلة بانتهاء يوم صوم جديد.

فشلت جميع محاولات رجال الدين، ومثقفي الموصل، في إقناع الأجهزة الأمنية، بإعادة مدفع الإفطار الذي تطلق عليه تسمية(طوب) إلى وظيفته القديمة، وحمل العديد منهم مقترحات توفيقية، للهبوط بمخاوف القادة من إمكانية استغلال المدفع في أغراض إرهابية.

من بين تلك المقترحات أن توجه فوهة المدفع إلى السماء، لكي لا يصبح مصدر تهديد، أو أن يبنى أمامه جدار كونكريتي مادامت أطلاقته صوتية فقط، على أن تقوم قوة خاصة من الجيش بالتعامل مع المدفع دون تدخل من أية جهة أخرى.

القادة الامنيون حتى قبل وصول قيادة عمليات نينوى إلى المدينة في منتصف ٢٠٠٨، تعاملوا بأذان مسدودة أمام مقترحات الإبقاء على واحدة من الممارسات التراثية القادمة من العهد العثماني، واستخف قسم منهم باعتبار الصوت المدفعي جزءا من التراث الشعبي ومنبهاً على بلوغ وقت الإفطار، متذرعين بان صوت الأذان الذي يطلقه ١٦٣٩ جامعاً في نينوى من خلال مكبرات الصوت فيها، أفضل بكثير من صوت أطلاقة مدفع محدود مدى صوته.

ولتطييب خواطر المحتجين، ذكر مصدر في الشرطة المحلية، ان قرار إبعاد المدفع مؤقت، وعودته مرهونة باستقرار كامل للأوضاع الأمنية، ولأن المدينة أصبحت مترامية الإطراف، ربما ستتم الاستعانة بعدة مدافع موزعة في انحاء متفرقة من الموصل، لكن دون أن يحدد في أي رمضان قادم سيحدث هذا.

القرارات المؤقتة، تعاملت مثل مشرط جراح في فتح الطرق والمسالك المؤدية إلى الأسواق وبعض المناطق التجارية في مختلف أنحاء الموصل، وتوالت الاجتماعات واللقاءات الأمنية قبل ذلك، الى أن تم التوصل الى قرار زفت بشراه قبل رمضان، بإرخاء القبضة الأمنية عن أسواق السرجخانة، وباب السراي، وباب الطوب، وشارع النجفي، وباب الجسر والكورنيش، والمصارف، والمجموعة، وسوق النبي يونس، والمثنى.

مع رحيل العيد، استيقظ مواطنو الموصل في أول الأيام الرسمية للأسبوع، ليجدوا الأشياء من حولهم، وقد استعادت نسقها القديم، الموظفون وصلوا الى مقار عملهم قبل السابعة صباحاً، والطرق اختنقت بالاسلاك والحواجز، وباتت الاسماع تترقب الأنباء حول اعادة فرض حظر التجوال وتحديد ساعاته المقيدة، وحجب الوقود المجاني عن مولدات الإنقاذ الأهلية.

قلق موصلي من أن تكون قرارات الحكومتين المحلية والمركزية، والاجهزة الأمنية المؤقتة، حولت مدينتهم الى سندريلا، وصار عليهم الان ان يتحملوا عودة كل شيء الى سيرته الأولى.